الثبات على الحق
عند وقوع الابتلاء

✍ إعداد الباحثة
منى سلامة عايش الجهني
باحثة ماجستير، قسم الدراسات الإسلامية
تخصص ثقافة إسلامية، جامعة طيبة، المدينة المنورة
المملكة العربية السعودية
aljohanimone@gmail.com

الثبات على الحق عند وقوع الابتلاء

منى سلامة عايش الجهني

قسم الدراسات الإسلامية، تخصص ثقافة إسلامية، جامعة طيبة، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

البريد الالكتروني: aljohanimone@gmail.com

الملخّص:

إذا تأملنا الواقع الذي يعيشه مجتمعنا نرى الفتن تحيط به من كل جانب؛ وهذه الابتلاءات والفتن ظاهرة رافقت العباد منذ الأزل. وهي سنة الله التي يمتحن عباده ليرى مدى صبرهم على البلاء. وهكذا لابد للسائل أن يسأل: كيف يتحقق الثبات على الحق عند وقوع الابتلاء؟ ولقد حاولت في هذا البحث الإجابة عن هذه الإشكالية تحت عنوان "الثبات على الحق عند وقوع الابتلاء".

الكلمات المفتاحية: الابتلاء- الثبات على الحق - القوة النفسية - معاقبة الطغاة.

How to achieve stability in the right when the occurrence of the trial

Mona Salama Ayesh Aljohani

Islamic Studies Department, Islamic Culture Specialization, Tiba, Al-Madena Al-Monawara, KSA.

E-mail: aljohanimone@gmail.com

ABSTRACT:

If we reflect on the reality in our society, we see sedition surrounding it from all sides. These trials and temptations are a phenomenon that has accompanied people from time immemorial. It is the Sunnah of God that tests His servants to see the extent of their patience with the calamity. Thus, the questioner must ask: How is the right to be proven when the trial occurs? In this paper, I have tried to answer this problem under the title "How to achieve stability in the right when the trial happens."

Keywords: affliction- persistence on the right.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدّمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آلة وصحبه أجمعين،،،

?بعد:

يمثل الابتلاء ظاهرة رافقت العباد منذ نشأتهم، فالله سبحانه وتعالى ابتلاء آدم وأخرجه من الجنة إلى الحياة الدنيا؛ حياة الابتلاء والفتن. فإن الناظر إلى ما تعيشه الأمة الإسلامية حالياً من الفتن والثورات ومن تداعي شعوب العالم عليها ليدرك أننا بحاجة ماسة إلى العودة إلى منهج رب العباد، والصبر على البلاء، قال تعالى: ﴿ولَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت: ٣] والثبات يحتاج إلى همة صادقة تظهر أيام الابتلاء والمحن وتدرك أن الفرج مع الصبر وأن مع العسر يسراً.

وحاجة العباد إلى الثبات عظيمة لأن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبهما كيفما شاء، وأن الإيمان يزيد مع الطاعات وينقص بالمعاصي. ولقد قرأت سير العظماء من أهل الثبات مروا في هذه الدنيا، وذهلت لعظيم صبرهم وقوة احتمالهم،

كانت المصائب تقع على رؤوسهم كأنها قطرات ماء باردة وهم في ثبات الجبال، وفي رسوخ الحق. وسوف أعرض في هذه الدراسة كيفية تحقق الثبات على البلاء، وكيفية تفعيل أسباب الثبات عند البلاء، ومطالعة تاريخ الصراع بين الحق والباطل لنستلهم الثبات من خلال تقديم رؤية واضحة لنماذج مضيئة ثابتة عند وقوع البلاء، وعاقبة الطغاة حينما تحل عليهم نقمة الله.

أولا: تعريف الابتلاء:

في اللغة:"ابتلى يبتلي، ابتلاءً، فهو مُبتَلٍ، والمفعول مُبتلْي، ابتلى الشخص: بلاء، اختبره وامتحنه، وجربه وعرفه"[١] أي: وجعله في اختبار وامتحان، وجربه.

الابتلاء في الاصطلاح:

"فالابتلاء هو واقع الإنسان الذي يحياه على مدار حياته، وهو القانون الذي تسير به حياة الإنسان بمشيئة الله عز وجل، فهو ليس اختباراً بل أمر اقتضته المشيئة الإلهية، يمضي على المؤمن

---

(١) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١(القاهرة: عالم الكتب نشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الأولى،١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، (١/ ٢٤٥).

والكافر على حد سواء، كما يجري ويمضي على الجن...فجميع البشر تحت سنة الابتلاء."[1]

أي: كل ما يصيب الإنسان من نصب ومرض وهم سواء في ماله أو بدنه أو أهله ومجتمعه الذي يعيش فيه.

ثانيا: تعريف الثبات على الحق في الإسلام

التعريف الذي توصلت له الباحثة هو: المداومة على الطاعات والمعتقدات وعدم الانحراف عنها يميناً وشمالاً، والوقوف على الشرع في والصبر على البلاء وفي وقوع الفتن ومعالجتها بإتباع سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعدم الركون إلى النفس واتباع الهواء وتحكيم شرع الله في كل صغيره وكبيرة.

---

(٢) انظر: الأبعاد التربوية لسنة الابتلاء في ضوء الفكر التربوي الإسلامي، رسالة ماجستير مقدمة للحصول على درجة الماجستير في أصول التربية، (فلسطين: كلية التربية جامعة الإسلامية في غزة، عام ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م)، ص ٢٦.

ثالثا: تفعيل أسباب الثبات على الحق عند وقوع الابتلاء:

١/ إعداد القوة النفسية من حسن الصلة بالله وضمان العاقبة للتقوى وللمتقين:

فما دام الصراع بين الحق والباطل مستمر فلا بد للحق من قوة تدفع الباطل؛ والإسلام دين القوة حيث قال تعالى: ﴿ وأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٦٠]،" ولابدَّ هنا من ملاحظة أن الآية الكريمة تشمل كل أنواع القوة، بما في ذلك القوة العسكرية والمادية والجسدية والرياضية، فضلاً عن القوة المعنوية والنفسية، وخصوصاً أن الآية تلفت النظر مباشرة إلى جانب من جوانب القوة النفسية وهو الانتصار على عنصر الشح والبخل الذي لا ينفك عن النفس البشرية، والدعوة للتغلب عليه بالإنفاق في سبيل الله وتعويد النفس على البذل والعطاء".[1] والقوة النفسية شجرة تروى بماء التقوى، شجرة أصلها في نفس المؤمن ثابت وآثارها في حياته طيبة الثمرة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

---

(٣) الطعان، أحمد إدريس، أخلاق القوة بين المفهوم الإسلامي والغربي دراسة مقارنة، (جامعة دمشق: القسم كلية الشريعة، درجة ماجستير، ٢٠١١م)، (ص١٧).

ولقد كان في المقدمة من القوة النفسية الأنبياء والمرسلون. فحينما ألقى الخليل عليه السلام في النار لم يتخل عن عقيدته أو يتردد بل أكملها (حسبي الله ونعم الوكيل). وكليم الله موسى عليه السلام لما قال له قومه: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [سورة الشعراء: ٦١]، قال عليه السلام: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [السورة الشعراء: ٦٢]. ونبي الله هود عليه السلام وقف في الساحة وحده أمام جحافل الطغاة قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ﴾ [سورة الفجر :٦-٨]، ثم تحداهم بقوله: ﴿مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة هود : ٥٥-٥٦]. والمؤمن مكلف شرعاً بالاقتداء بالأنبياء والمرسلين في ذلك تعظيم التوكل على الله يحمل على إدراك أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، والأمور تجري بقدر الله لا بقدر البشر.

٢/ أبرز الأسباب التي تحقق القوة النفسية:

- **عمل الصالحات:**

يرسم الله لنا طريقاً واضحاً أن من عمل صالحاً و اتقى واتبع تعاليم الدين، فإن له حياة طيبة كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ

صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل: ٩٧]؛ " وتشمل الحياة الطيبة جميع أسباب الخير ووسائل النعيم في الدنيا قال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل : ٩٦]؛ "أي يحصى الله لهم أعمالهم ويجزيهم عليها في الآخرة خير الجزاء وأجزله وأتمه وأوفاه... فتقرر من هذا العرض ما أسلفنا القول عنه في صدر هذا الحديث وهو أن وراء الأسباب والمسببات المادية أسبابا لها أثرها الملحوظ في كسب السعادة غير أن طغيان المادة في أكثر المجتمعات الإسلامية كان له الأثر في النفوس،فلم يعد يوقن بفاعلية هذه الأسباب إلا الصفوة من عباد الله الأبرار، والصالحين الأخيار الذين لا يخلو منهم زمان ولا مكان ولم يقف الأمر عند هذا الحد من تقديس المادة، وربط كل المقدرات والأسباب والمسببات بها، بل لقد أخذت بعض المجتمعات الإسلامية في طريق معاكس لطريق الله السوي الذي أمر عباده بانتهاجه وحذرهم من الحيدة عنه..."[1]، إن حسن الصلة بالله تجعل المؤمن قوياً في تحمل الفتن وأعباء الحياة،فيلزم الاستغفار ويداوم على فعل الخير، ويقلع عن الذنوب، ويرضى بما كتبه الله له فلا يجزع ولا يقنط من روح الله. المؤمن

---

(٤) خياط، عبد الله عبد الغني، تأملات في دروب الحق والباطل، (جدة: تهامة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، د.ت)، (ص ١٠٧).

القوي يعظم الله ويقدم محبة الله على محبة غيره، ولا تأخذه في الحق لومة لائم. لأنه يخشى الله في كل أموره؛ فيكون مطعمه حلالا ومشربه حلالا ولباسه حلالا؛فهو يخشى لقاء الله، ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [سورة الرحمن :٤٦]، أي "موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب، أو المقام مقحم للتعظيم كأخاف جانبه والسلام على مجلسه، جنتان: لكل من الإنسان جنتان للمقربين من ذهب، قيل: جنة للإنسى، وجنة للجنى"[١]، فالنفس أمارة في السوء، والمرء يميل إلى إتباع هوى نفسه، وهنا تكمن قوة إرادة المرء في مقاومة هوى نفسه ومجاهدتها ونهيها عن المنكر ،فالله سبحانه وتعالى وعد عباده الذين يخافون مقام ربهم وينهون أنفسهم عن إتباع الشهوات بأن لهم الجنة تكون لهم سكننا يوم القيامة قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ [سورة النازعات: ٤٠]: وقوفه بين يديه يوم القيامة (وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى) خالف ما تهواه نفسه من معصية الله "[٢] ويكون بذلك أعد نفسه للقاء الله تعالى فبادر في

---

(٥) محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الشافعي، جامع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (بيروت _لبنان: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ=٢٠٠٤م).

(٦) أبو يحي محمد بن صمادح، القرآن الكريم من مختصر تفسير الإمام الطبري، ط٢ (دمشق: دار الفجر الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م)، ص (٥٨٥).

عمل الصالحات وطاعة الله واجتناب ما نهى عنه والاستعداد للآخرة بالابتعاد عن المحرمات.

- **الحذر من الشيطان:**

لقد حذر الله عباده من إتباع خطوات الشيطان قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [سورة البقرة : ١٦٨]،" يعني: طرائقه ومسالكه وما يأمر به، ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة : ١٦٩] وهذا تنفير وتحذير من ذلك، بأفصح العبارة وأوجزها وأبلغها وأحسنها. قال علي بن أبي طلحة، قال عكرمة: نزغاته. وقال قتادة: كل معصية فهي من خطوات الشيطان. وقال أبو مجلز :النذور في المعاصي من خطوات الشيطان. وقال مسروق: سأل رجل ابن مسعود فقال: إني حرمت أن أكل طعاماً؟ فقال: هذا من نزغات الشيطان، كفر عن يمينك، وكُلْ. وقال الشعبي في رجل نذر ذبح ولده: هذا من نزغات الشيطان. فالطريق الحق واضح، وللمرء أن يختار أي الطرق يسلك إما طريق الخير والهداية وإتباعا لمرضاة الله وإما طريق الشر والضلال وإتباعا لخطوات الشيطان. فمواجهة نزغات الشيطان تتطلب من المرء عزيمة صادقة، وقوة إيمان بالله تدفع عنه شر الشيطان ونزغاته.

- **الزهد في الدنيا والاستعداد للقاء الله تعالى:**

فحسن الظن بالله سبحانه وتعالى وإخلاص العبادة له، واستمداد القوة من الله تعالى في القيام بما أمر به واجتناب ما نهى عنه من المعاصي والذنوب، والتزام طريق الحق الذي جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم. فمن أراد الجنة عمل لها وسعى، قال تعالى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [سورة الإسراء :١٨-١٩]، "أي من كان طلبه الدنيا العاجلة،لها يعمل ويسعى، وإياها يبتغى. لا يوقن بمعاد ولا يرجو ثواباً ولا عقاباً من ربه على عمله، عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد. أي ما نشاؤه من بسط الدنيا عليه أو تقتيرها لمن أراد الله أن يفعل به ذلك. أو من إهلاكه بما يشاء تعالى من عقوبة العجلة. ثم يصلى جهنم في الآخرة مذموماً على قلة شكره لمولاه، وسوء صنيعه فيما سلف له. مدحوراً مطروداً من الرحمة، مبعداً مقصياً في النار. ومن أرد الآخرة وإياها طلب، ولها عمل عملها الذي هو طاعة الله وما يرضيه عنه فأولئك كان عملهم مشكوراً بحسن الجزاء." (١) فلا بد للمرء أن يبتعد عن التمني

---

(٨) القاسمي، محمد جمال الدين، تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار أحياء الكتب العربية، د.ط، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م)، (١/ ٣٩١٦).

والتسويف، لأنها تضعف العزيمة وتثبط العمل وتدعوا إلى التكاسل والغفلة، وتضعف الصلة بالله ويكون المرء أسير شهواته وملذاته ومسلوب الإرادة، غافلاً عن ذكر ربه.مغموراً قلبه بحب الشهوات؛ "أي أن القلب قد يغمره فيستولي عليه ما يريده العبد ويحبه وما يخافه ويحذره كائناً من كان؛ ولهذا قال تعالى: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِن دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ٦٣]، فهي فيما يغمرها عما أنذرت به، فيغمرها ذلك عن ذكر الله والدار الآخرة وما فيها من النعيم، والعذاب الأليم. "(١) ويصبح القلب قاسياً عن ذكر الله،فلا يخشع ولا يرق، هذا حال الغافل،أما المستيقظ والمحب لله والممتثل لأمره، هو من وهب نفسه وماله لله، وأخلص في عبادته، وأثر الآخرة على الدنيا،وأفنى عمره في التزود بالتقوى، ووثق صلته برب العباد وفاز برضوانه وجنته؛قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُواْ وَاسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلاَ يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا * يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [سورة النساء: ١٧٣-١٧٤]،" هذا وعد من الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات أنه سوف

(٩) شيخ الإسلام، ابن تيمية، الزهد والورع والعبادة، تحقيق: حمّاد سلامة، (الأردن: مكتبة المنار، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م)، (ص ٣٤-٣٥).

يوفيهم أجورهم لقاء إيمانهم وعملهم الصالحات، ثم يزيدهم أجوراً أخرى تفضلاً عليهم. أما الذين استكبروا عن طاعته وعبادته فسيعذبهم عذاباً مهلكاً،ولن يجدوا لهم يوم القيامة وليّاً ينصرهم من دون الله "(١).

رابعا: مطالعة تاريخ الصراع بين الحقّ والباطل:

١/ الرؤية الواضحة للنماذج المضيئة الثابتة على الحق:

إن الله سبحانه وتعالى خلق في النفس الخير والشر، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [سورة الشمس: ٧-١٠]، وخلق الرحمة والشدة، وخلق الحق والباطل، وجعل الحق يتمثل بإتباع ما أنزله الله من تشريعات وأوامر إلهيه، والباطل يتمثل بكل ما خالف شرع الله. إن الصراع بين الحق والباطل بدأ منذ القدم، أي من خلق أدم عليه السلام وسجود الملائكة له، وامتناع إبليس من السجود لأدم، وتوعده بإغواء وإضلال أدم وذريته من بعده، فاستمر الصراع بين الشيطان وجنوده وبين المؤمنين إلى يوم القيامة. وتمثل هذا الصراع عندما أغوى إبليس أدم وتسبب في إخراجه من الجنة حيث أشار إليه بأن يأكل من شجرة التي نهاه الله من الأكل منها،ثم

(١٠) النفيسة، عبد الرحمن بن حسن، التفسير المبين، (الرياض: الدار التدميرية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ)، (٢/ ٤٤١).

استمر إبليس في نصب العداء لأدم وذريته حيث قتل هابيل أخاه قابيل وكان أول قتل تشهده البشرية.وامتد الصراع بين الرسل وأقوامهم وبين الشيطان وأوليائه من جانب أخر، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١١٢]، والصراع بين الحق والباطل مستمر باستمرار الحياة.(١) والسيرة النبوية العطرة بيان لهذا الصراع الذي نشأ بين طغاة مكة والنبي عليه الصلاة والسلام والذي استمر سنوات حتى أخمدهم الله تعالى وتوج الله تعالى هذا الصراع بنصر مبين، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [سورة النصر: ١-٣].

فتنة الناس في وفاته صلى الله عليه وسلم وموقف أبي بكر مع المرتدين ومانعي الزكاة:

حدثنا أبو اليمان قال: أخبرنا شعيب،عن الزهري قال: أخبرني أنس بن مالك الأنصاري، وكان تبع النبي صلى الله، وخدمه

---

(١١) انظر: القوة الإيمانية ودورها في حسم الصراع بين الحق والباطل دراسة قرآنية، د. عبد السلام حمدان اللوح، أ. ضيائي نعمان السوسي، (د.ط، د.ت)، (ص٢٣٨-٢٣٩).

وصحبه: أن أبا بكر كان يصلي لهم في وجع النبي صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه، حتى إذا كان يوم الاثنين، وهم صفوف في الصلاة، فكشف النبي صلى الله عليه وسلم ستر الحجرة، ينظر إلينا وهو قائم، كان وجهه ورقة مصحف،ثم تبسم يضحك،فهممنا أن نفتتن من الفرح برؤية النبي صلى الله عليه وسلم، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف،وظن أن النبي صلى الله عليه وسلم خارج إلى الصلاة، فأشار إلينا النبي صلى الله عليه وسلم (أن أتموا صلاتكم). وأرخى الستر فتوفي من يومه. (١) "وتسرب نبأ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وبعد دفن النبي صلى الله عليه وسلم أرتد كثير من القبائل عن الإسلام، "ارتدت أحياء كثيرة مك الأعراب، ونجم النفاق في المدينة، وانحاز إلى مسيلمة الكذاب بنو حنيفة وخلق كثير باليمامة، والتفت على طليحة الأسدي بنو أسد، وطيء، وبشر كثير أيضاً وعظم الخطب، واشتدت الحال، ونفذ الصديق جيش أسامة فقلَّ الجند عند الصديق فطمعت كثير من الأعراب في المدينة، وراموا أن يهجموا عليها فجعل الصديق على أنقاب المدينة حراساً يبيتون بالجيوش حولها، فمن أمراء الحرس عليٌّ ابن أبي

(١٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، (١٤١، رقم ٦٨٠)، محمد إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: أبو صهيب الكرمي، (الرياض: بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ=١٩٩٨م).

طالب، والزبير بن العوَّام، وطلحة بن عبد الله، وسعد ابن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن مسعود. وجعلت وفود العرب تقدم المدينة يقرُّون بالصلاة، ويمتنعون من أداء الزكاة، ومنهم من امتنع من دفعها إلى الصديق، وذكر أن منهم من احتج بقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ١٠٣]. قالوا: فلسنا ندفع زكاتنا إلا إلى من صلاته سكن لنا... وقد تكلم الصحابة مع الصديق في أن يتركهم وما هو عليه من منع الزكاة ويتألفهم حتى يتمكن الإيمان في قلوبهم، ثم هم بعد ذلك يزكون فامتنع الصديق من ذلك وأباه. وقد روى الجماعة في كتبهم سوى ابن ماجه عن أبي هريرة أن عمر بن الخطاب قال لأبي بكر: علام تقاتل الناس وقد قال رسول الله عليه وسلم: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإذا قلوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها)[١]. فقال أبو بكر: والله لو منعوني عناقاً وفي رواية: عقالاً كانوا يؤدُّونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأقاتلنَّهم على منعها، إن الزكاة حق المال، والله لأقاتلنَّ من فرق بين الصلاة والزكاة. قال عمر: فما هو إلا أن رأيت

---

(١٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب (فإن تَابُوا وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَآتوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبيلهُمْ)، (٢٨، رقم ٢٥).

الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق"(١). واشتد الأمر على أبوبكر من حزنه على وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وامتنع بعض القبائل من دفع الزكاة والمرتديين عن الإسلام و أعداء الإسلام المتربصين للمسلمين. لكن أبو بكر بعلمه وفقهه استطاع حسم الأمر بكل قوة وحزم والانتصار عليهم والنهوض بأمة الإسلام حيث قاتل المرتدين " الذين ارتدوا بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم إنما كانوا ممن أسلموا بالسيف كأصحاب مسيلمة وأهل نجد. وتواتر عند الناس أن الذي قاتل أهل الردة هو أبو بكر الصديق وأصحابه قاتل مسيلمة الكذاب المدعي للنبوة وأتباعه بني حنيفة، وأهل اليمامة. وقد قيل: إنهم مائة ألف أو أكثر. وقاتل طليحة الأسدي وكان قد ادعى النبوة بنجد واتبعه من أسد وغطفان ما شاء الله، وادعى النبوة سجاح – امرأة تزوجها مسيلمة الكذاب – فتزوج الكذاب بالكذابة. وأيضاً فكان من العرب من ارتد عن الإسلام لم يتبع متنبئاً كذاباً، وقد ذكر أئمة التفسير أن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة المائدة: ٥٤] أنهم أبو بكر وعمر ومن تبعهما من أهل

---

(١٤) الدمشقي، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، البداية والنهاية، (د.ط، د.ت)، (٦/ ٣١٩-٣٢٠).

اليمن وغيرها" [١]. فثبات أبو بكر بهذه المرحلة كان أمراً مهما في المحافظة على دولة الإسلام والقيام بأمر الدعوة الإسلامية والسير على نهج الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.فجمع وحدة المسلمين ووحد صفوفهم. والصراع لا ولن ينقطع بين الحق والباطل إلى قيام الساعة وبينهما صولات وجولات، وسنة الله فيه التي لا تتبدل أن جعل العاقبة لأهل التقوى.

٢/ عاقبة الطغاة حينما تحل عليهم نقمة الجبار جل وعلا:

١. "وحرم الله الظلم بين عباده ليحفظوا بذلك دينهم وتستقيم دنياهم، وليصلحوا بترك الظلم آخرتهم وليتم بين العباد التعاون والتراحم بترك الظلم، وليؤدوا الحقوق لله وللخلق.وكم من دعوة مظلوم قصمت ظهر طاغية والعدل أساس الملك، ولا يظلم ربك أحد، كم من بيوت كانت تعج بالظالمين، ماتوا فصارت الديار خرابات، كم من ظلمة قطع الله دابرهم. فإن ظلم الظلمة أقبح الظلمات وهي أشد من ظلمة الليل لأن ظلمته مربوطة بظلمة يوم القيامة يوم الهول والنشور. الظالم جعل الله عقوبته أن يعاقب بآثام من ظلمه، ويكون ذلك عقوبة له على ظلمه، وعلى

(١٥) محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، أبو بكر الصديق، (د.ط، د.ت)، (ص ١٢٢-١٢٣).

ما أكتسبه لا أن يكون مؤخذاً بذنب غيره، أو معاقباً على ظلمه ثواب صبره على ما أصابه، فقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة الزمر: ١٠] ويعاقب الظالم بذهاب حسناته وعقوبة ما جنى المظلوم، وذلك جزاء ظلمه وعقوبة ما جنته يداه ولسانه وقلمه.ولا جرم أن الظلم وخيم العاقبة، شديد النكاية، يمزق أهله كل ممزق، ويبيدهم شر إبادة يخرب الديار ويقصم الأعمار، والله جعل على أهله دماراً ومأثما،فكم قصم به من أمم، وفرق به جماعات وخرب به حصون، وأفنى به جيلاً،وسقطت به دول وحكومات،وأهلك به أمماً، [١٦] قال تعالى: (أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ) [سورة هود : ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [سورة الحج: ٤٥]، وهذه عاقبة الطغاة حينما تحل عليهم نقمة الجبار، وإن الله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، قال تعالى: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [سورة القلم: ٤٥] "أي: وأؤخرهم وأنظرهم وأمدهم، وذلك من

(١٦) الشريدة، منصور، بشارة المؤمنين بهلاك الظالمين، (د.ط، د.ت)، (ص٣).

كيدي ومكري بهم، ولهذا قال تعالى: إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ أي: عظيم لمن خالف أمري، وكذب رسلي، واجترأ على معصيتي."(١)

ومن الأمثلة على معاقبة الطغاة:

المثال الأول: هلاك الطغاة عاد وثمود:

١. قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ * فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ﴾ [سورة الحاقة: ٤-٨]، "فقال: (ثمود) وهم القبيلة المشهورة، سكان الحجر، الذين أرسل الله إليهم رسوله صالحاً عليه السلام، ينهاهم عما هم عليه من الشرك، ويأمرهم بالتوحيد، فردوا دعوته وكذبوه، وكذبوا ما أخبرهم به من يوم القيامة، وهي القارعة التي تقرع الخلق بأهوالها، وكذلك عاد الأولى سكان حضرموت، حين بعث الله إليهم رسوله هوداً عليه الصلاة والسلام، يدعوهم إلى عبادة الله وحده فكذبوه، وكذبوا بما أخبر به من البعث، فأهلك الله الطائفتين بالهلاك المعجلى (فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ) وهي الصيحة العظيمة الفظيعة، التي انصدعت منها قلوبهم، وزهقت

(١٧) الدمشقي، إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ص١٩٠٨).

لها أرواحهم فأصبحوا موتى لا يُرى إلا مساكنهم وجثثهم، (وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ) أي: قوية شديدة الهبوب، لها صوت أبلغ من صوت الرعد [القاصف]، عَاتِيَةٍ: عتت على خزانها، على قول كثير من المفسرين، أو عتت على عاد، وزادت على الحد كما هو الصحيح، فجعلتهم كأنهم جذوع النخل التي قطعت رؤوسها الخاوية، الساقط بعضها على بعض، (فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ) وهذا استفهام بمعنى النفي المتقرر."(١)

المثال الثاني: هلاك فرعون:

قال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة يونس: ٩٠]، وقيل في تفسير هذه الآية: وذلك أن الله أوحى إلى موسى لما وصل البحر، أن يضربه بعصاه فضربه، فانفلق اثنى عشر طريقاً، وسلكه بنو إسرائيل، وساق فرعون وجنوده خلفه داخلين. فلما استكمل موسى وقومه خارجين من البحر، وفرعون وجنوده داخلين فيه، أمر الله البحر فالتطم على فرعون وجنوده، فأغرقهم، وبنو إسرائيل

---

(١٨) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (القاهرة، دار الحديث للطبع والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م)، (ص٨٨٢).

ينظرون.حتى إذا أدرك فرعون الغرق، وجزم بهلاكه (قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ الَّـذِي آمَنَـتْ بِـهِ بَنُـو إِسْـرَائِيلَ وَأَنَـاْ مِـنَ الْمُـسْلِمِينَ) أي: المنقادين لدين الله، ولما جاء به موسى"[١].

والمستفاد من هذه القصص ما يلي:

- صدق التوكل على الله وهذا يظهر من قول موسى عليه السلام عندما قال له قومه إن لمدركون قال موسى بكل ثقة ويقين إن معي ربي سيهدين.
- الإنسان الذي يتوكل على الله؛ فهو معية الله.
- يجب علينا طرق الأسباب والأخذ بها.
- تمكين الله تعالى لعباده المؤمنين.
- إن الله أعمى بصيرة فرعون وحال بينه وبين الإيمان، فالله سبحانه يحول بين المرء وقلبه قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّـهَ يَحُـولُ بَـيْنَ الْمَـرْءِ وَقَلْبِـهِ وَأَنَّـهُ إِلَيْـهِ تُحْـشَرُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٢٤] .
- اقتضت حكمة الله أن لكل إنسان نهاية وأن الموت لا مفر منه.

---

(١٩) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص ٣٧٢).

- "إن النفس الأبية لا ترضى أن تعيش على فتات العيش وموائد الآخرين، بل لابد أن تبحث عن وسيلة تكدح من خلالها، وتشعر بالعزة والاستعلاء بعيداً عن المسألة والاستجداء، وهذا ما وقع لموسى –عليه السلام – حيث عاش مع الشيخ الكبير عيشة عمل وكدح يرعى له الغنم مقابل تزويجه إحدى ابنتيه، واتفقا على مدة العقد اللازم والكامل برضا واختيار."(١)
- الصراع بين الحق والباطل مستمر إلى قيام الساعة.
- سرعة الاستجابة لداعي الحق.
- الدعوة إلى دين الله بحكمة والموعظة والقول لين لعل المدعو يستجيب إلى أمر الله.
- إن بطش الله لشديد على القوم الظالمين.
- الثقة واليقين بنصر الله تعالى على القوم الكافرين.
- إيثار الآخرة على الدنيا والعمل لنيل رضا الله سبحانه وتعالى.

---

(٢٠) أحمد بن عبد الله العماري الزهراني، تأملات قرآنية من نبإ موسى وفرعون، (مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد:١، ربيع الآخر ١٤٢٧هـ)، (ص٥٧).

بيان سنة من سنة الله في الكون، وهي تمكين للمستضعفين في الأرض:

وذلك كما قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [سورة القصص: ٥-٦] ،" بأن نزيل عنهم مواد الاستضعاف ونهلك من قاومهم ونخذل من ناوأهم في الدين، وذلك لا يحصل مع استضعاف بل لابد من تمكين في الأرض وقدرة تامة (وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) الذين لهم العاقبة في الدنيا قبل الآخرة، فهذه الأمور كلها قد تعلقت بها إرادة الله وجرت بها مشيئته، وكذلك (وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ) أي ونرى الذين صالوا وجالوا وعلوا وبغوا على هذه الطائفة المستضعفة من إخراجهم من ديارهم وكانوا يسعون في قمعهم وكسر شوكتهم وتقتيل أبنائهم الذين هم محل ذلك، فكل هذا قد أراده الله وإذا أراد أمراً سهل أسبابه ونهج طرقه وهذا الأمر كذلك، فإنه قدر وأجرى من الأسباب – التي لم يشعر بها لا أولياؤه ولا أعداؤه – ما هو سبب موصل إلى هذا المقصود فأولى ذلك لما أوجد الله ورسوله موسى الذي جعل استنقاذ هذا الشعب المظلوم على يديه وبسببه..."[1] تدل الآيات على أن الله سبحانه وتعالى استخلف بني إسرائيل ليكون فيهم أئمة صالحون

(٢١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، المرجع السابق، (ص ٦٧١).

يقودون هذه الأمة إلى صلاحها وعبادة الله بعد أن نجاهم الله من طغيان فرعون وهامان وجنودهم، وأن الله أورثهم الأرض واستخلفهم فيها بأن جعلهم أئمة؛ " فذلك بأن أخرجهم من ذل العبودية وجعلهم أمَّة حرة مالكة أمر نفسها لها شريعة عادلة وقانون معاملاتها وقوة تدافع بها أعداءها ومملكة خالصة لها وحضارة كاملة تفوق حضارة جبرتها بحث تصير قدوة للأمم في شئون الكمال وطلب الهناء فهذا معنى جعلهم أئمة، أي يقتدي بهم غيرهم ويدعون الناس إلى الخير وناهيك بما بلغه ملك إسرائيل في عهد سليمان عليه السلام.وأما جعلهم الوارثين فهو أن يعطيهم الله ديار قوم آخرين ويحكمهم فيهم، فلإرث مستعمل مجازا في خلافة أمم أخرى. فالتعريف تعريف الجنس المفيد أنهم أهل الإرث الخاص وهو إرث السلطة في الأرض بعد من كان قبلهم من أهل السلطان، فإن الله أورثهم أرض الكنعانيين والحيثيين والأراميين، وأحلهم محلهم على ما كانوا عليه من العظمة حتى كانوا يُعرفون بالجبابرة قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ [سورة المائدة: ٢٢]. والتمكين لهم في الأرض تثبيت سلطانهم فيها ملكوه منها وهي أرض الشام إن كانت اللام عوضا عن المضافة إليه. ويحتمل أن يكون المعنى تقويتهم بين أمم الأرض إن حمل التعريف على جنس الأرض المنحصر في فرد، أو

على العهد، أي الأرض المعهودة للناس."(١) ومن رحمة الله بعبادة أن أنجاهم من جبروت فرعون ومكنهم في الأرض وجعلهم يحكمون الأرض بعد أن كانوا أذله ومستضعفين تُقتل أبناؤهم وتستحي نساؤهم. فالله عز وجل أراد أن يعاقب فرعون وهامان ما كانوا يحذرون منه قال تعالى: ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [سورة القصص : ٦]" يخافون من المولود الذي يذهب ملكهم على يديه."(٢) فمكن الله بني إسرائيل واستخلافهم في الأرض وجعل منهم أئمة صالحين، وجعل من فرعون وقصته عبرة على مر العصور والأزمان عظة للمؤمنين ووعيدا للطغاة. وهي سنة عامة ليست لبني إسرائيل خاصة، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة النور: ٥٥]" هذا من أو عاده الصادقة، التي شوهد تأويلها ومخبرها، فإنه وعد من قام بالإيمان والعمل الصالح من هذه الأمة، أن يستخلفهم في

(٢٢) الإمام الشيخ، محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، (تونس: الدار التونسية، د.ط، د.ت)، (ص٧١)..
(٢٣) المحلي، جلال الدين محمد بن أحمد، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تفسير الجلالين، (د.ط، ت.د)، (ص ٢٤٥).

الأرض، يكونون هم الخلفاء فيها، المتصرفين في تدبيرها، وأنه يُمكِّن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وهو دين الإسلام الذي فاق الأديان كلها، ارتضاه لهذه الأمة، لفضلها وشرفها ونعمته عليها، بأن يتمكنوا من إقامته، وإقامة شرائعه الظاهرة والباطنة، في أنفسهم وفي غيرهم، لكون غيرهم من أهل الأديان وسائر الكفار مغلوبين ذليلين، وأنه يبدلهم من بعد خوفهم الذي كان الواحد منهم لا يتمكن من إظهار دينه، وما هو عليه إلا بأذى كثير من الكفار، وكون جماعة المسلمين قليلين جداً بالنسبة إلى غيرهم، وقد رماهم أهل الأرض عن قوس واحدة، وبغوا لهم الغوائل. فوعدهم الله هذه الأمور وقت نزول الآية، وهي لم تشاهد الاستخلاف في الأرض والتمكين من إقامة الدين الإسلامي، والأمن التام، بحيث يعبدون الله ولا يشركون به شيئاً، ولا يخافون أحداً إلا الله، فقام صدر هذه الأمة من الإيمان والعمل الصالح بما يفوقون على غيرهم، فمكنهم من البلاد والعباد، وفتحت مشارق الأرض ومغاربها، وحصل الأمن التام والتمكين التام، فهذا من آيات الله العجيبة الباهرة، ولا يزال الأمر إلى قيام الساعة، مهما قاموا بالإيمان والعمل الصالح، فلابد أن يوجد ما عدهم الله، وإنما يسلط عليهم الكفار والمنافقين، ويُديلهم في بعض الأحيان، بسبب إخلال المسلمين بالإيمان والعمل الصالح. والذين خرجوا عن طاعة الله، وفسدوا، فلم يصلحوا لصالح، ولم يكن فيهم أهلية للخير، لأن الذي يترك الإيمان في حال عزه وقهره، وعدم وجود الأسباب

المانعة منه، يدل على فساد نيته، وخبث طويته، لأنه لا داعي له لترك الدين إلا ذلك. ودلت هذه الآية، أن الله قد مكَّن من قبلنا، واستخلفهم في الأرض..."(١)



(٢٤) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص ٥٧٣).

خاتمة:

انطلاقاً من أهمية البحث وتحقيقاً لغايته، فقد خلصت هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

- ❖ نحن في حاجة إلى الاستعانة بالله والتوكل عليه في تحصيل العزوم وقوة الإرادة التي تكون في التوكل على الله، والصبر على البلاء.
- ❖ القوة لا تكون إلا بالله سبحانه وتعالى، فهو من يمدنا في القوة والصبر على تحمل الابتلاءات.
- ❖ مما تميز به أهل الثبات رضوان الله عليهم من قوة الإيمان وصدق اليقين وإخلاصهم لربهم ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا﴾ [سورة الأحزاب : ٢٣].
- ❖ الابتلاءات تميز بين الخبيث والطيب، الصادق والمنافق، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاء فَآمِنُواْ

بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة آل عمران: ١٧٩].

- ❖ جعل الله التوكل شعاراً لأهل الإيمان يتميزون به عمن سواهم، فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٢] وضمن لمن توكل عليه القيام بأمره وكفايته همه..."(١).
- ❖ أهل الابتلاء لديهم قوة إيمان وإرادة في الصبر على البلاء، وتحمل الأذى في سبيل الله.
- ❖ قوة الإيمان تظهر حينما يشتد البلاء، يزداد الكرب، فأيوب عليه السلام ضُرب المثل في صبره فلم يجزع ولم يقنط من رحمة الله.
- ❖ البلاء يربي المؤمن على تحمل تكاليف هذا الدين.
- ❖ إن صبر المؤمن على البلاء وتمسكه بهذا الدين يجذب القلوب الغافلة عن ربها إلى رجوع له والتوبة والاستقامة على الطريق القويم.

---

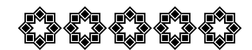
(٢٥) الحافظ، أبو بكر بن أبي الدنيا، كتاب التوكل على الله، تحقيق: جاسم الفهيد الدوسري، (بيروت –لبنان: دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م)، (ص٢٠).

❖ المؤمن لا يقنط من روح الله ولا يجزع ولا يتذمر بل يوقن أن نصر الله قريب.

وتختم الباحثة بذكر بعض التوصيات ومنها:

- يجب علينا بذل الجهد لنصرة هذا الدين، والبذل يكون بالنفس والمال والعمل على إعلاء كلمة الله تعالى.
- لابد لنا من التسلح بالعلم، وفهم حقيقة الإسلام، ومعرفة ما لنا وما علينا، وألا نرضى الدنية في ديننا ونعتز بالإسلام.
- ضرورة الاعتناء بالسور القرآن القرآنية وأخص منها السور والآيات التي تحثنا على الصبر والثبات على الحق.
- يجب علينا اللجوء إلى الله تعالى بالذكر والتسبيح والدعاء ليكشف الله عنا البلاء ويدفع الأذى.
- يجب علينا التلطف واللين في دعوة أهل الباطل والحرص على هدايتهم إلى دين الله سبحانه وتعالى.
- التكاليف الربانية تحتاج منا همة عالية وقوة في تحملها، وصبر ويقين بأن نصر الله قريب.

- يجب علينا التوكل على الله والأخذ بالأسباب، وعدم اليأس والقنوط من روح الله سبحانه وتعالى.
- تحقيق (لا إله إلا الله) في قلب مع اليقين أن الله هو الرازق والمالك والمتصرف في الكون كله وهو وحده لا شريك له، فنتوجه إلية في جميع أمورنا.
- الواجب على كل مسلم تعظيم أوامر الله ونواهيه وتعظيم حرمته وقضائه وقدره والخوف من عقابه سبحانه وتعالى.



المصادر والمراجع العربية مترجمة باللغة الإنجليزية:

•The Holy Quran

• Ahmad Mukhtar Omar, **Mojam El Logha El Arabia El Moaassira**, (El Kahira: alam el kotub li nachri wa tawzie wa tibaa, First Edition, ١٤٢٩ AH / ٢٠٠٨AD).

• **Al'abeadA Altarbawiat Lisanat Alaibtila' Fi Daw' Alfikr Altarbawii Al'iislamii**, risalat majstayr muqadimatan lilhusul ealaa darajat almajstayr fi 'usul altarbiati, (flastin: kuliyat altarbiat jamieat al'iislamiat fi ghazat, eam ١٤٢٨H-٢٠٠٧ AD)

•Altueaanu, 'ahmad 'iidris, **'akhlaq alquat bayn almafhum al'iislamii walgharbii dirasat muqarinati**, (jamieat dimshq: alqism kuliyat alshryet ، darajat majstir, ٢٠١١ AD).

• Khayat, Abdullah Abdul-Ghani, **tamulat fi durub alhaqi walbatilu**, (jadat: tuhamat lilnashr waltawziei, First Edition, WD).

•Muhammad bin Abdul Rahman bin Muhammad bin Abdullah Al-Shafi'i, **Jamie Albayan Fi Tafsir Alquran**, Investigation: Abdel Hamid Hindawi,

(Beirut – Lebanon: dar alkutub aleilmiya, first edition, ١٤٢٤ H =٢٠٠٤ AD).

•Abu Yahya Muhammad bin Samadah**, alquran alkarim min mukhtasar tafsir al'imam altabrii**, (dimashq: dar alfajr al'iislami, ٢nd edition, ١٤١٢H – ١٩٩١ AD).

•Al-Qasimi, Muhammad Jamal Al-Din, t**afsir alqasimii almusamaa muhasin altaawili,** Investigation: muhamad fuad eabd albaqi, (dar 'ahya' alkutub alearabiati, da.ta, ١٣٧٦ H -١٩٥٧ AD).

•Sheikh al-Islam, Ibn Taymiyyah, **alzahd walware waleibadat**, Investigation: ahmad salama, (al'Ordon: maktabat almanari first edition, ١٤٠٧ H -١٩٨٧ AD).

• Abdul Salam Hamdan Al-Louh, **alquat al'iimaniat wadawruha fi hasm alsirae bayn alhaqi walbatil dirasat quraniatin**, (WE, WA)

•Muhammad Ismail Al-Bukhari, **Sahih Al-Bukhari,** Investigation: 'abu shyb alkarmii, (alryad: bayt al'afkar alduwaliat lilnashr waltawzie, First Edition, ١٤١٩ H =١٩٩٨ AD).

• Ismail bin Omar bin Kathir al-Qurashi, **albidayat wal nahabati**, (WE, WA).

• muhamad bin eabd alruhmin bin muhamad bin qasim, **'abu bakr alsadiq,** (WE, WA).

• Al-Shraideh, Mansour, **bisharat almuminin bihilak al aalimina,** (WE, WA).

•Al-Saadi, Abd al-Rahman bin Nasser, **taysir alkarim alruhmin fi tafsir kalam almanani,** (alqahirat, dar alhadith liltube walnashr waltawziei, first edition, ١٤٢٦ H =٢٠٠٥ AD).

• Ahmed bin Abdullah Al-Ammari Al-Zahrani**, ta'amulat quraniat min naba'i musaa wa fireawna,** (majilat maehad al'imam alshaatibii lildirasat alquraniati, aleadd:١, ١٤٢٧ H).

• Imam Sheikh, Muhammad al-Tahir Ibn Ashour, (tunes: al dar altuwnsiat, WE, WA).

• Jalal al-Din Muhammad bin Ahmed, Jalal al-Din Abdul Rahman bin Abi Bakr al-Suyuti, **tafsir aljalalayn**, (WE, WA).

• Al-Hafiz, Abu Bakr bin Abi Al-Dunya, **kitab altawakul ala allah**, Investigation: jasim alfuhid aldawsrii, (byrwt -lbanan: dar albashayir al'iislamiat liltabaeat walnashr waltawziei, first edition, ١٤٠٧ H-١٩٨٧AD).